أعظم الكتب العربية

(٣)

فــوزى خـــضر

فى الطـــب

(الطب العام)

الناشر



رقـم الإيـداع : ٩٨/٨٢٤٨
الترقيم الدولى : 3-392-276-977

الناشر
المكتب العربى للمعارف
١٠ ش الفريق محمد رشاد حسن
مصر الجديدة –ميدان الحجاز
ت : ٢٤٣٤٣٩٨-٢٤٢١٥٢٦
فاكس : ٢٤٨٨٦٥٣

تقديم

الكتب هى السجلات التى حفظت معارف البشرية، فنقلت خبرات الأقدمين إلى المحدثين، وساعدت الإنسان على أن يبدأ من حيث انتهى من قبله، وقد أعان هذا على أن تظل حركة التطوير دائمة فى نمو مطرد، وهى تشتمل على خلاصة الخبرات التى جمعها الآخرون، وتعد الكتب اختراعًا متقدمًا جدًّا إذا ما ألقينا نظرة سريعة على مسيرة الإنسان التى امتدت مئات الألوف من السنين.

وقد ابتدأ المؤرخون تاريخ العلم الإنسانى عند العصر الحجرى عندما قام الإنسان الأول بصنع آلات وأدوات وأسلحة من الحجر، ولاشك أنه حاول صناعة تلك الآلات والأسلحة وأخفق فى صناعتها فى بداية الأمر، ثم حاول مرات متتالية، إلى أن توصل إلى مايصلح لاحتياجاته، وهذه الصور البدائية من التجريب أعانت الإنسان على حل مشكلاته، وبالتالى عرف الطريق إلى العلم، وكان ذلك منذ مايقرب من أربعمائة ألف سنة حسب ماتدل الحفريات التى اكتشفها العلماء.

وعرف الإنسان كيف يصور حياته على جدران الكهوف -التى كان يسكنها- منذ حوالى ثلاثين ألف عام، فحفر أشكالاً لحركات يقوم بها، كما حفر صورًا لبعض الحيوانات التى كان يصطادها.

انتقل الإنسان إلى مرحلة أخرى منذ حوالى خمسة عشر ألف عام حين تحول من جامع للغذاء يلتقط الحبوب والثمار من الأشجار إلى منتج للغذاء إذ عرف الزراعة، ومن هنا عرف الأوقات المناسبة للبذر والغرس والأوقات المناسبة للحصاد، وأدرك العلاقة بين الزراعة وفصول السنة، ومع الاستقرار وازدياد العمران ظهرت معيشة الجماعات.

ومن الجدير بالذكر أن أعظم اكتشاف أفاد البشرية فى العصور البدائية الأولى هو اكتشاف الإنسان للنار، فقد طور هذا الاكتشاف الحياة البشرية تطويرًا مذهلاً.

وانتقل الإنسان بعد ذلك إلى عصر المعدن، ونشأت فئات متخصصة فى استخلاص المعادن من خاماتها، وعرف الإنسان التعدين، وانتقلت الحياة البشرية نقلة كبيرة، فبعد أن كانت أدواته وأسلحته لاتتعدى الحجارة وأخشاب الأشجار انفتحت أمامه دنيا عريضة من المعادن التى أسهمت فى حصوله على أسلحة فتاكة تعينه على القضاء على الوحوش المفترسة بأسلوب فعال وبجهد أقل، كما أسهمت فى تقدمه العلمى باختراع آلات وأدوات يدخل المعدن فى تركيبها.

وتكونت جماعات بشرية كبيرة على ضفاف وادى النيل، ثم نشأت الحضارة الفرعونية فى مصر، فعرف المصريون القدماء الزراعة على أصولها، ومسح الأراضى، والهندسة، وحساب الفيضان، والفلك، وتركيب أعضاء جسم الإنسان والتشريح، والكيمياء، ولعل الأهرامات

وفـن التحنيـط من الشواهد القاطعة على ماوصلوا إليه من رقى علمى، وكذلـك بعـض معـابدهم ذات المواقـع الغريبـة، مثـل معبـد أبـى سـمبل جنوب أسوان الذى تدخله الشمس مرتين كل عام، مرة فى يوم مولد الفرعون، ومرة فى يوم اعتلائه عرش مصر، وهذا أمر مذهل يدل على مـاحققوه مـن إنجـازات جبـارة فـى علـم الفلـك، وكان القدماء يسمون المصريين (مادى الحبال)، وذلك لأنهم كانوا يمدون حبالاً، يقسم كل حبـل إلـى عقـد بنسب معينة (٣،٤،٥ على سبيل المثال)، ويستخدمون تلـك الحبـال فـى المسـاحة والعمـران وتعييـن الموقـع الفلكـى لمحـور المعبـد الـذى يريـدون تشـييده، ويقـول "دمقريـط الأبديـرى" الـذى زار مصر فى القرن الخامس قبل الميلاد أنه رأى الاحتفال بمد الحبل، وهو الـذى يتـم فيـه التعييـن الفلكـى لمحـور المعبـد بحيـث ينطبـق علـى خـط الزوال، وذكر أنه رأى أحد الكهنة ينظر إلى النجم القطبى خلال عصا مشـقوقة، بينمـا يقـف كاهن آخر معه خيط مثبت فى العصا، ويتحرك الكاهن حتى يرى الخيط والنجم القطبى فى اتجاه واحد، وعند ذلك يضـرب كـل منهم وتدًا فى الأرض، ثم يمد حبلا بين الوتدين فيتحدد بذلك اتجاه خط الزوال.

وقـد قـامت الحضـارات علـى ضفـاف الأنهـار، فكـانت الحضـارة الفرعونيـة فـى وادى النيـل، والآشـورية والبابليـة فيمـا بيـن النهريـن، والصينيـة فـى مـاوراء النهر، كما قامت الحضارة الفينيقية على الساحل

الشرقى للبحر المتوسط، وقامت الحضارة الهندية، والحضارة الفارسية فيما بعد.

وبازدياد العمران تشابكت المصالح فازدهرت التجارة، وتضاربت المصالح حينا آخر فقامت الحروب، وفى الحالتين احتاج الناس إلى العلم، فازدهرت علوم الفلك والرياضيات والتعدين والحساب والطب وغيرها، وتقدم كثير من الصناعات، وتطورت أساليب الزراعة.

وكان لكل حضارة مما ذكرنا عطاؤها الذى أفادت به البشرية بوجه أو بآخر، إلا أنه يهمنا فى هذا المجال أن المصريين والسومريين اخترعوا علامات تدل على حروف الهجاء أو المقاطع الهجائية، أما اختراع حروف الكتابة فقد بدأ فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد عند أهل جزيرة كريت وعند أهل رأس شمرا وأهل سيناء، إلا أن حروف الكتابة التى اخترعها الفينيقيون هى التى كتب لها البقاء، والتأثير فيما بعد، فإنه على مر الزمن أخذ اليونانيون حروف الكتابة الفينيقية، وأصلحوها بأن أضافوا إليها رموزًا جديدة، وجوهر الاختراع الفينيقى هو الدلالة على كل مخرج من مخارج الأصوات بأقل عدد ممكن من العلامات وبدون حدوث لبس، وهكذا اهتدى الفينيقيون إلى التوصل إلى حروف الكتابة ببساطة بالغة، استفادت منها الشعوب السامية الأخرى.

وامتدت مسيرة العلم الإنسانى فانتقلت المعارف التى حققتها الحضارات القديمة إلى الإغريق، وقد بدأت الحضارة الإغريقية -اليونانية- بهوميروس فى القرن التاسع أو الثامن من قبل الميلاد، وبدأ العلم اليونانى بالعالِم طاليس فى القرن السابع قبل الميلاد، ثم فيثاغورس فى القرن السادس قبل الميلاد، ثم ظهر أبقراط وسقراط وأرسطو فى القرنين الرابع والخامس قبل الميلاد، وبموت الإسكندر وموت أرسطو بعده بعام واحد سنة ٣٢٢ ق.م تفرق خلفاء الإسكندر فى البلاد، ووقعوا تحت الاضطهاد السياسى، فارتحل معظم العلماء إلى الإسكندرية حيث كان البطالمة يحكمون مصر، وكانوا معروفين بحبهم للعلم ورعايتهم للعلماء، وأنشئت جامعة الإسكندرية القديمة -وبها مكتبة الإسكندرية- فكانت منارًا للعلم عدة قرون، وأنجب العصر الإسكندرى عددًا من العلماء المرموقين أمثال بطليموس وإقليدس وجالينوس وديسقوريدس وهيرون وثاون وابنته هيباتيا وهيروقليس وأرشميدس وغيرهم، ثم وقع اضطهاد دينى بين المسيحيين والوثنيين فهاجر العلماء شرقًا، حيث استقر عدد منهم فى جنوب بساور.

وخَفَتَ التوهج فى شعلة الحضارة اليونانية بتفرق العلماء فى البلاد المختلفة، وإن ظلت لها بعض الإبداعات الفنية.

ويجدر بنا هنا أن نذكر أن ورق البردى المصرى قد حفظ للأجيال علوم اليونان وغيرهم، فإن اختراع الكتابة قد بلغ قمته الغالية بالنسبة

للإنسانية حين اخترع المصريون أوراق البردى التى تفوقت على ماعداها من مواد الكتابة مثل العظام والفخار والعاج والجلد والكتان، إذ إن تلك المواد تظل قطعا غير متصلة ولايمكن الاحتفاظ بها مجموعة لعدة قرون من الزمان، أما ورق البردى فقد أدرك المصريون أنه يمكن لصق كثير من الصفحات بعضها إلى بعض، كل ورقة فى ذيل الأخرى، فكونوا لفة من الأوراق يمكنها استيعاب أى نص مهما كان طوله سواء كان علميًّا أو أدبيا أو تاريخيا أو غيره، واختلف عرض لفة البردى من ٣ إلى ١٨ قدمًا، بينما توقف طولها على طول النص الذى تحتويه، وأطول بردية موجودة فى العالم هى بردية هاريس رقم ١ التى عرضها ١٦ قدمًا بينما يبلغ طولها ١٣٣ قدمًا، وهى محفوظة فى المتحف البريطانى تحت رقم ٩٩٩٩، ويكفى أن نعلم أن مكتبة الإسكندرية احتوت على مئات الألوف من لفافات البردى التى تشتمل على العلوم والآداب المختلفة لندرك إلى أى مدى وصل العلم والأدب فى العصر الإسكندرى، وبعد اختراع المصريين للبردى بخمسة آلاف سنة تقريبًا، استطاع الصينيون أن يخترعوا الورق الذى أدى دورًا مهما فى نشر المعارف الحضارية فى العالم كله.

ونتيجة للاضطهاد الدينى -كما قلنا- اضطر علماء الإسكندرية إلى الهروب عبر البلاد، وكانت العلوم -آنذاك- مكتوبة بعدة لغات يأتى فى مقدمتها اليونانية، ثم السريانية والعبرية والهندية والفارسية، وهى

اللغات التى كانت تجمع المعارف البشرية.

ثم سطع نور الإسلام على العالم، وأخذت تتوسع رقعة الدولة الإسلامية، حتى وصلت إلى مشارف الصين شرقًا، وإلى مشارف فرنسا غربًا، وانتشر الإسلام بين أهل تلك البلاد وانتشرت معه اللغة العربية التى هى لغة القرآن الكريم واللغة الرسمية للدولة الإسلامية.

وكانت الأمية متفشية، ولم يهتم الناس بتعلم الكتابة إلا فيما ندر، إذ إنهم كانوا يعظمون من شأن الذاكرة، ويعتمدون عليها، ولايشعرون بحاجتهم إلى الكتابة، فهم يحفظون القرآن الكريم، ويحفظون الأشعار، ويحفظون أيام العرب وتواريخهم، وينتقل بينهم مايعرفونه بالرواية، لدرجة أنهم جعلوا أخذ المعلومة من كتاب هى أدنى درجات العلم، بينما أخذه بالمشافهة يعد أعلى درجاته، إذ يكون مصدر المعلومة محققا فى تلك الحالة.

ولم يبدأ التدوين -بمعناه الواسع- إلا فى القرن الثانى الهجرى -الثامن الميلادى- فدوَّن العرب كتب الحديث والأدب والتاريخ، ثم امتد التدوين إلى فروع أخرى مثل الفقة والتفسير وعلم الرجال وغيرها، وبعد ذلك بدأت حركة الترجمة، ثم اتسعت لتشمل كل العلوم التى عرفتها الأمم الأخرى، وترجمت الكتب اليونانية والسريانية والفارسية، وأنشئت المدارس والمكتبات، واهتم الخلفاء بالكتب واهتموا بترجمتها، لدرجة أن الخليفة المأمون كان يدفع وزن مايترجم ذهبًا!

وامتد الاهتمام بالترجمة إلى الأسر الثرية مثل أسرة موسى بن شاكر الذى أحضر مترجمين وصرف لهم رواتب حتى يترجموا له كتب العلوم المختلفة، وانتشر التعليم وسار الاهتمام بالعلوم الدنيوية جنبًا إلى جنب مع العلوم الدينية.

وبدأ العرب بدراسة الكتب التى تمت ترجمتها، ثم أخذوا يكتبون شروحًا لها، ويسجلون مختصرات لبعضها، وظهر فلكيون وأطباء وصيادلة، فبنيت المراصد وأنشئت المستشفيات، وأقيمت المدارس التى تدرس فيها الرياضيات وعلم النبات وعلم الحيوان والفلسفة والتاريخ والجغرافيا وغيرها.

بدأت بعد ذلك مرحلة الإبداع العلمى، إذ لم يكتف العرب بما حصلوه من معارف بل أخذوا يطورون تلك المعارف ويبحثون فيها ويضيفون إليها، فبرز منهم كثير من العلماء فى شتى المجالات، وكانوا علامات مضيئة فى تاريخ العلم العالمى، وقامت الحضارة العربية بأيدى أبنائها وعقولهم المستنيرة وإخلاصهم فى عملهم وأبحاثهم، ولا يمكن لأمة أن تتقدم إلا إذا تفانى أبناؤها فى سبيل تقدمها مسلحين بالعلم المتطور والعمل الجاد والأخلاق الكريمة، فالعلم الحديث هو الذى يجعلهم يقفون على أرض معرفية صلبة، والعمل الجاد هو الذى يجعلهم يحققون الإنجاز والإضافة، والأخلاق الكريمة هى التى توفر لهم الأمانة العلمية والعملية، فلا يمكن للعالم الحق إلا أن يكون صادقًا

مع نفسه وهو يقوم بأبحاثه، أمينًا فى أدائها وفى الاطمئنان إلى نتائجها.

وإن النظر إلى الحضارة الإسلامية يدعونا للفخر، فقد استطاع أجدادنا أن يقودوا العالم حين أخلصوا العمل وتفانوا فى سبيل العلم، وهذا الأمر يجعلنا نثق فى قدرات العقل العربى على الإبداع، وها هى ذى النماذج أمامنا تشير إلى أن العرب بدءوا العمل العلمى الجاد على مستوى العالم أجمع، ولعل أسماء مثل د.مصطفى مشرفة، ثم د.مجدى يعقوب، ود.فاروق الباز، ود.أحمد زويل تكون هى بداية الغيث الذى سيعيد للعرب مكانتهم فى مسيرة الحضارة الإنسانية.

وقد طرح الأستاذ ممدوح الغالى فكرة تأليف عدد من الكتب تعرِّف الجيل الحالى بأهم الكتب العربية التى أسهمت فى تقدم البشرية فى كافة المجالات التى كتب فيها العرب أبحاثهم، وتفضل -مشكورًا- بالتحمس لطباعتها ونشرها، للتعريف بما قدمه العرب للعالم، وخاصة أنه ظهر عدد كبير من العلماء -من حدود الصين إلى حدود فرنسا- ألفوا كتبهم باللغة العربية، فكانت من أعظم الكتب التى أفادت الحضارة الإنسانية خلال مسيرتها الطويلة.

وقد جعلت كل كتاب فى علم من العلوم التى أسهمت العرب فى تقدمها، فبدأت الكتاب بنبذة عن ذلك العلم وتاريخه، ثم عرضت عددًا من الكتب العربية المختارة، وقد رأيت أن يعرض كل كتاب من خلال قصة تمهد للحديث عن الكتاب من جهة، وتحقق نوعًا من

التشويق للقارئ من جهة أخرى، فتعينه على تقبل الحديث عن مادة ربما لاتكون من ضمن اهتماماته، وقد ذكرت تعريفا بالكتاب ومحتوياته، ثم أهميته، ثم ذكرت نبذة عن مؤلفه.

ولايخفى على القارئ مابذل من جهد فى سبيل جمع مادة للتعريف بهذه الكتب، خاصة أن بعضها نادر الوجود، وبعضها لايوجد إلا فى المخطوطات، ومنها ماهو فى مصر، ومنها ماهو خارجها، بالإضافة إلى المراجع العربية والأجنبية الخاصة بالعلوم وتاريخها، والتى تبين قيمة الكتاب وعظمته فى مجال تخصصه، لكن العناء يهون حين يرى الإنسان ثمرة عمله.

وأسأل الله -عز وجل- أن يكون فى هذه الكتب مايفيد المطلع عليها.

والله ولى التوفيق،

فوزى خضر

الإسكندرية (١٤١٩هـ-١٩٩٨م)

علم الطب

ورد فى المعجم الوجيز أن الطب هو علاج الجسم والنفس ، ومنه: علم الطب. وقال طاش كبرى زاده فى كتاب (مفتاح السعادة) فى تعريف الطب: هو علم يُبحث فيه عن بدن الإنسان من جهة مايُصِحُّ وما يُمْرِضُ ، لحفظ الصحة وإزالة المرض.

وقد اختلف العلماء فى نشأة الطب وكيفيته ، قالت فئة منهم إنه نتج عن إلهام إلهى، وقالت فئة بل عن تجربة واكتشاف إنسانى ، وقالت فئة ثالثة إنه حدث بإلهام إلهى مع ما وقع من تجربة واتفاق ومصادفة ، ثم تكاثر ذلك بين الناس وأكّده القياس بحسب ما شاهدوه ودلتهم عليه فطرتهم ، فتجمعت لديهم معارف من تلك المصادر المعرفية المختلفة، فاستخرجوا الصلات التى بين العلل وبين أساليب مداواتها ، فتكونت لديهم مبادىء وقوانين كلية لعلم الطب، وتدرج التعليم من الكليات إلى الجزئيات ، فتبينت فروع الطب مع مرور الزمن ومع استمرار البحث والتجربة.

وجاء فى (كتاب الألوف) لأبى معشر البلخى المنجِّم أن الذى بدأ الطب هو هرمس المصري، وقال إن الهرامسة ثلاثة.

هرمس الأول : كان قبل الطوفان ، ويذكر الحرّانيون نبوّته ، وتذكر الفرس أن جده كيومرث وهو آدم عليه السلام ، ويذكر العبرانيون أنه

أخنوخ وهو بالعربية النبى إدريس عليه السلام، وهو أول من تكلم فى حركات الأجرام السماوية، وجده آدم - عليه السلام - قد علّمه ساعات الليل والنهار، وهو أول من بنى المعابد ومجّد الله - عزوجل فيها - وأول من عرف الطب، وقد ألّف لأهل زمانه كتبًا كثيرة فى معرفة الأشياء الأرضية والعلوية ، وهو أول من أنذر بالطوفان ، وكان مسكنه فى أخميم - بمحافظة سوهاج الآن - فنقش فى معابدها جميع الصناعات وآلات الصنّاع ، وأشار إلى صفات العلوم لمن بعده ، إذ خشى أن يذهب الطوفان بتلك العلوم من العالم . وثبت فى الأثر المروىّ عن السلف أن إدريس - عليه السلام - أول من درس الكتب ونظر فى العلوم ، وأنزل الله عليه ثلاثين صحيفة، وهو أول من خاط الثياب ولبسها ، ورفعه الله مكانًا عليًّا.

هرمس الثانى : هو من أهل بابل - مدينة الكلدانيين - وكان بعد الطوفان فى زمن نزير بال الذى بنى مدينة بابل بعد غرود بن كوش -الذى كان خصمًا لسيدنا إبراهيم عليه السلام - وكان هرمس الثانى بارعًا فى الطب والفلسفة ، والحساب ، وهو أستاذ فيثاغورس الأرتماطيقى - القرن السادس قبل الميلاد - وقد جدد هرمس من علم الطب والأعداد ماكان قد امحى بسبب الطوفان ، وفلاسفة بابل هم أول من حدّد الحدود ورتّب القوانين.

هرمس الثالث : سكن مصر ، وكان بعد الطوفان أيضًا ، وهو صاحب كتاب **(الحيوانات ذوات السموم)**، وكان طبيبًا فيلسوفًا، عالمًا بطبائع الأدوية القتالة والحيوانات المؤذية ، وكان هرمس الثالث دائم الطواف والتجوال بالبلاد ، وكان عالمًا بالكيمياء ، ساعدت تجاربه فيها على نشوء صناعات كثيرة كالزجاج والخرز وأنواع من الخزف ، وكان له تلميذ يسكن أرض الشام هو إسقليبيوس اليوناني.

يؤرخ للطب بإسقليبيوس ، فقد كان طبيبًا بارعًا ، وكان أوحد زمانه ، أبرأ المرضى الذين يئس الناس من شفائهم ، لدرجة أن عامة الناس ظنوا أنه يحيى الموتى، وزعموا أنه من أبناء آلهة اليونان ، وكان إسقليبيوس يعلّم أبناءه الطب مشافهة ، وعهد إليهم ألا يعلموا هذه الصناعة لأحد إلا لأولادهم ولمن هو من نسل إسقليبيوس لا غير، ويقال إنه عاش تسعين عامًا.

توالى الأطباء من نسل إسقليبيوس ، وكان أكثرهم شهرة وبراعة غورس وميتس وبرمانيدس وأفلاطون الطبيب وإسقليبيوس الثاني وأبقراط وجالينوس.

ولابد من التوقف عند أبقراط وهو من البطن السابع من نسل إسقليبيوس الأول، وجد أبقراط أن صناعة الطب توشك أن تنقرض لقلة الوارثين لتلك الصناعة من الأبناء، فقرر أن يعلمها لمن يستحق ممن هم ليسوا من نسل إسقليبيوس، ووضع أبقراط عهدًا استخلف فيه المتعلم

للطب أن يكون ملتزمًا بالطهارة والفضيلة ويسمى هذا العهد : قسم أبقراط، ثم وضع قانونًا عرّف فيه من الذى ينبغى له أن يتعلم صناعة الطب، ثم وضع وصية أوضح فيها جميع مايحتاج إليه الطبيب فى نفسه .

وكان أبقراط عالمًا بالطب والفلك وعلم النبات وعلم الحيوان ، وهو الذى استنبط أجناس الأمراض ووسائل مداواتها ، وهو أول من جعل مستشفى للمرضى فى بستان يملكه بالقرب من بيته . وكان يعيش فى القرن الخامس قبل الميلاد، وكان أعظم الأطباء علمًا عبر عصور طويلة ، ومع ذلك كان يقول : (ليس معى من فضيلة العلم إلا علمى بأنى لست بعالم) ، وقد خلّف أبقراط ٣٠ كتابًا. وهو أول من دوّن صناعة الطب فى كتب.

وتوالى الأطباء ، واختلط الطب بالفلسفة ، حتى جاء جالينوس الذى قيل إنه أعظم طبيب فى تاريخ البشرية ، فلا يوجد عالم دُرِّست كتبه فى العلوم الطبية مثل جالينوس سواء فى البلاد المختلفة أو فى العصور المتتالية، وقيل إنه ولد بعد عصر المسيح - عليه السلام - واختلف العلماء فى تحديد الزمن، فبعضهم قال بعد ٥٩ عامًا وبعضهم قال بعد ٢٠٠ عام ، عاش جالينوس ٨٧ عامًا، تمكن من الطب وبرع فيه ، وأتى بالعجائب حتى سماه الناس الفاعل للعجائب، وكان كثير السفر، وقيل إن معنى جالينوس: الفاضل. ألّف بعض الكتب فى الفلسفة

والمنطق، إلا أن معظم مؤلفاته فى الطب وفروعه، وقد تعدت المائة كتاب ، منها ١٦ كتابًا عدوها أساس الطب، وظلت تُدرس أكثر من عشرة قرون.

جاء بعد ذلك الأطباء الأسكندرانيون الذين جمعوا كتب جالينوس الستة عشر وفسروها، وأعظمهم سبعة أطباء علماء أولهم أصطفان الأسكندرى، وآخرهم يحيى النحوى الأسكندرانى الأسكلانى الذى لحق أوائل الإسلام، وله كثير من الكتب الطبية ، إلا أن أنقيلاوس الأسكندرانى كان أعظم الأطباء الذين أنجبتهم مدرسة الأسكندرية ، وهو الذى رتب الكتب الستة عشر لجالينوس.

وأشرق نور الإسلام على العالم.

وقد وجد عدد من الأطباء فى أول ظهور الإسلام، يأتى فى مقدمتهم الحارث بن كلدة الثقفي، كان من الطائف وسافر عبر البلاد وتعلم الطب فى بلاد فارس واليمن وأسلم ومكث حتى أيام معاوية بن أبى سفيان، وكان طبيب العرب.

عاش فى تلك الفترة أيضًا عدد من الأطباء السريانيين ، منهم من ارتحل إلى بلاد العرب، ولعل أشهرهم أسرة بختيشوع التى خدم أبناؤها الخلفاء العباسيين.

ولا يفوتنا أن نذكر أطباء الهند الذين برعوا فى الطب والفلك معًا، أمثال كنكة الهندي، ومنكة ، وشاناق، وصالح بن بهلة الهندى، وكان

خبيرًا بمعالجات الهنود، وعاش فى العراق فى عهد هارون الرشيد.

وقد خطا الأطباء العرب خطوات مذهلة بالطب العالمى أدت إلى تقدمه ، وكان المصدر الرئيسى لمعارفهم الطبية فى البداية من خلال الكتب التى حصلوا عليها من مدرسة جنديسابور الواقعة فى جنوب غرب بلاد فارس، فحين فر علماء اليونان من الأسكندرية اجتمع عباقرة الطب منهم فى جنديسابور، حيث أصبحت مركز تعليم الطب فى زمانهم، وفيها تعلم الحارث بن كلدة ، وزينب طبيبة بنى أود التى تعد من أعظم الطبيبات ، ونالت شهرة عريضة فى علاج الرمد وأمراض العيون ، وحين فتح العرب بلاد فارس قدّروا قيمة مدرسة جنديسابور، وفيها اتصلوا بعلوم اليونان ، وترجمت الكتب التى احتوتها مكتبتها إلى العربية، فكانت الزاد الطبى لعلماء العرب فيما بعد من ناحية الطب النظري، إذ عرف العرب القدماء قليلاً من الطب التجريبى تبدّى فى الفصد والكيّ والحجامة. ولم يعرف الطب النظرى منهم غير قلة ممن تعلموا فى مدرسة جنديسابور.

ويذكر الفضل للأطباء العرب فى وضع المنهج العلمى السليم للعلوم الطبية، والاهتمام بصحة الإنسان نفسيًّا وبدنيًّا، وأوجدوا طرق فحص المريض المبنية على أسس علمية من التجربة والمشاهدة والاستنتاج ، ويُذكر لهم اكتشاف مساحات مجهولة مثل الدورة الدموية الصغرى على سبيل المثال واكتشاف أمراض عدة، وكذلك التفريق بين أمراض

خلط القدماء بينها مثل الحصبة والجدري، واكتشافهم بعض الطفيليات، وكذلك إضافاتهم لطب الأطفال والتشريح وطب العيون ، وكذلك إضافاتهم الخطيرة فى علم الجراحة.

كذلك يذكر لهم بناء المستشفيات وتنظيم العمل فيها ، ووضع المناهج لدراسة الطب، وقد أجمع العلماء على أن العرب قد وضعوا الأساس الطبى الذى انطلق منه علم الطب فى أوروبا، ويكفى أن نعلم أن الطب كان يدرس فى جامعات أوروبا حتى القرن الخامس عشر باللغة العربية لندرك إلى أى مدى تقدمت العلوم الطبية لدى العرب.

وقد تقدم الطب فى أوروبا ثم فى الولايات المتحدة الأمريكية، إذ يجتهد علماء الطب فى اكتشاف الأمراض والوسائل التى تحقق علاجًا مؤثرًا سعيًا إلى توفير الصحة للإنسان.ويجدر بنا أن نلقى الضوء على بعض الكتب العربية التى أسهمت بفاعلية فى تقدم العلوم الطبية فى العالم، ونبدأ بتلك المصنفات التى كتبها أطباء العرب العظام فى الطب العام.

* * *

كتاب

القانون فى الطب

استيقظ ألبرتو مبكرًا جدًّا ، ضحكت والدته وهى تعد طعام الفطور، أدرك ما يُضْحِكُ والدته ، فقال له :

أعلم أنكِ كنت تجهدين فى سبيل إيقاظى من النوم يا أمى ، وأعلم أنك تضحكين الآن لأننى استيقظت وحدى مبكرًا.

قالت والدته ضاحكة : بل قل مبكرًا جدًّا يا ألبرتو.

قال لها :

أنتِ تعلمين يا أمى أنى أتمنى دراسة الطب منذ صغري، وهأ نذا سوف ألتحق بالجامعة كى أدرس الطب، وسوف أدرسه فى جامعة باليرمو التى تعد أحسن جامعة لتعليم الطب ليس فى إيطاليا وحدها بل في أوروبا كلها.

دعت الأم لولدها بالتوفيق ، وجلست تتابعه وهو يتخير أفضل ما عنده من ملابس، ثم وهو يصلح من هندامه قبل خروجه . وحين وصل إلى باب المنزل التفت إلى والدته قائلاً : هل تظنين أنهم يقبلوننى دارسًا للطب يا أمي؟

أجابت مسرعة :

بالطبع يا ألبرتو، إذا لم يقبلوا أمثالك من المجتهدين فى دراستهم ، والراغبين بإلحاح فى دراسة الطب فمن سيقبلون؟

ابتسم ألبرتو لوالدته ، وفتح باب المنزل فاستقبل صباح مدينته بالبشر والترحاب، وانطلق فى شوارعها تحف به الفرحة، ويتقافز الأمل أمامه ، مصورًا له غدًا مشرقًا ، يعطره تحقيق الأحلام ، ويضيئه النجاح الذى يتوقع أن يحققه لنفسه.

مرت الساعات بطيئة على الأم وهى تنتظر ولدها بالدار، لم تكن قلقة بشأن المقابلة التى ستجريها إدارة جامعة باليرمو لولدها ، فهى على يقين من أنه سوف يُقْبَلُ طالبًا يدرس الطب بها ، كل ما هنالك أنها كانت تتعجل مجيئه ليبشرها ، فهى تتمنى أن يتحقق أمله ويصير طبيبًا شهيرًا مثل عمه.

لكنّ ألبرتو تأخر.

توقعت فى البداية أن يكون عدد المتقدمين لدراسة الطب كبيرًا ، لهذا تأخر ولدها، ولكن حينما اقترب غروب الشمس ولم يأتِ ألبرتو كان القلق يعتصر قلبها.

وأخيرًا جاء.

هبت الأم من مقعدها ، فقد رأت غيوم الأحزان تملأ وجه ولدها ، ونظرت فى عينيه فرأت الهزيمة فى أجلى معانيها، سألته بلهفة عَمَّا به، فأجاب : وضعوا شرطًا لقبولى بالجامعة.

سألته : ماهو ؟

أجابها : لابد أن أتعلم اللغة العربية.

تعجبت الأم مما سمعته من ولدها ، ولم تجد مبررًا واحدًا يحتم أن يتعلم ابنها اللغة العربية، وهو سوف يدرس في جامعة إيطالية، صمت ألبرتو قليلاً وعلم مايدور في خاطر والدته من تساؤلات فقال لها:

يقولون إن أهم كتاب سوف يعلّمنا الطب على أصوله هو كتاب عربي، ولابد من دراسته بلغته، ولهذا لن يقبلوا إلا من يتعلم تلك اللغة، والأمر شاق جدًّا بالنسبة لي، فإن أي كتاب - مهما كان - لن تكون له تلك الأهمية القصوى التي تجعل الجامعة تشترط دراسته بلغته ، فهل ابتدعوا سببًا لرفضي؟

حينذاك طلبت منه والدته أن يذهب إلى عمه ليعرض عليه الأمر، فهو يدرك خفايا دراسة الطب لكونه طبيبًا، وهو من أشهر الأطباء .

ذهب ألبرتو لزيارة عمه ، فعرض عليه الأمر ، فقال له عمه : يا ألبرتو هل تعلم أي كتاب حدثوك عنه ؟

أجاب : أجل .. كتاب القانون في الطب لابن سينا.

قال له عمه : هذا الكتاب هو عمدة الدراسات الطبية في العالم، وهم مصيبون في حتمية دراسته باللغة العربية ، وأنا شخصيًّا درسته بها، ولو حدثتك عن ذلك الكتاب وأهميته ومؤلفه لأيقنت بضرورة

دراسته بلغته حتى تستوعب كل مافيه ، فهل أحدثك عنه ؟

قال ألبرتو : بالطبع يا عماه ، وهأنذا أنصت إليك بكل جوارحى.

* * *

الكتاب

يقع كتاب القانون فى الطب للشيخ الرئيس ابن سينا فى خمسة أجزاء ، أسماها ابن سينا كتبًا ، وقد قسم كل جزء إلى عدد من الفنون، وكل فن إلى عدد من التعاليم، وقسم بعض التعاليم إلى جُمَلٍ ، وقسم كل جملة إلى فصول حسب موضوعاتها، بعضها لا يتعدى خمسة فصول، وبعضها يزيد على ثلاثين فصلاً . يشتمل الكتاب على مقدمة قصيرة.

وبعد المقدمة يتكون الكتاب من الآتى :

الجزء الأول : فى الأمور الكلية فى علم الطب

ويشتمل على أربعة فنون :

الفن الأول : فى حد الطب وموضوعاته من الأمور الطبيعية ويشتمل على ستة تعاليم :

١- التعليم الأول وهو فصلان فى تعريف الطب وفى موضوعات الطب.

٢- التعليم الثانى فى أركان الطب وهو فصل واحد.

٣- التعليم الثالث فى الأمزجة وهو ثلاثة فصول فى الأمزجة، وفى أمزجة الأعضاء وفى أمزجة الأسنان (الأعمار) والأجناس.

٤- التعليم الرابع فى الأخلاط، وهو فصلان فى ماهية الخلط وأقسامه وفى كيفية تولد الأخلاط.

٥- التعليم الخامس فصل واحد وخمس جمل ، الفصل فى ماهية العضو وأقسامه، أما الجمل فهى كالتالى:

الجملة الأولى فى العظام ، وتقع فى ٣٠ فصلاً ، يتحدث فيها عن العظام والمفاصل وتشريح كل عظمة من الرأس حتى القدم.

الجملة الثانية فى العضل، وتقع فى ثلاثن فصلاً ، يتحدث فيها عن العصب والعضل والوتر والرباط وتشريح العضلات بدءًا من عضلات الوجه حتى عضلات أصابع الرجل.

الجملة الثالثة فى العصب وتقع فى ستة فصول ، يتحدث فيها عن الأعصاب ومسالكها بدءًا بالعصب الدماغى حتى تشريح العصب العجزى والعصعصي.

الجملة الرابعة فى الشرايين، وتقع فى خمسة فصول، يتحدث فيها عن تشريح الشرايين.

الجملة الخامسة فى الأوردة، وتقع فى خمسة فصول ، يتحدث فيها عن صفة الأوردة وتشريحها.

٦- التعليم السادس فى القوى والأفعال، وهو جملة واحدة تقع فى ستة فصول، يتحدث فيها عن القوى الطبيعية والحيوانية والنفسية.

الفن الثانى : فى ذكر الأمراض والأسباب والأعراض الكلية.

ويشتمل على ثلاثة تعاليم :

١- التعليم الأول فى الأمراض، ويقع فى ثمانية فصول يتحدث فيها عن تحديد السبب والمرض والعرض، والأمراض المركبة وأوقات الأمراض.

٢- التعليم الثانى فى الأسباب، ويقع فى جملتين كالتالى :

الجملة الأولى فى الأشياء التى تحدث عن سبب من الأسباب العامة، وتقع هذه الجملة فى تسعة عشر فصلاً، يتحدث فيها عن تأثير الهواء المحيط بالأبدان وطباع الفصول ، وموجبات الرياح حسب اتجاه هبوبها ، وموجبات المساكن الحارة والباردة والعالية والغائرة والبحرية والشمالية وغير ذلك ، وموجبات الحركة والسكون والنوم واليقظة والحركات النفسانية، وموجبات مايؤكل وما يشرب وأحوال المياه ، والاستحمام والتعرض للشمس وغير ذلك .

الجملة الثانية فى تحديد سبب لكل واحد من العوارض البدنية ، وهى تسعة وعشرون فصلاً، يتحدث فيها عن أسباب الخشونة والنعومة والخلع وزيادة العظام والغدد والقرحة والورم والوجع واللذة والإيلام والتخمة وضعف الأعضاء.

٣- التعليم الثالث فى الأعراض والدلائل ، ويقع فى أحد عشر فصلاً وجملتين ، أما الفصول فهى فى الأعراض والعلامات الدالة على حالات مرضية، مثل السدد والرياح والأورام والأمزجة وغلبة خلط على خلط آخر.

أما الجملتان فهما كالتالى :

الجملة الأولى فى النبض وتقع فى ١٩ فصلاً.

الجملة الثانية فى البول والبراز وتقع فى ١٣ فصلاً.

الفن الثالث : فى سبب الصحة والمرض وضرورة الموت.

ويشتمل على خمسة تعاليم :

١- التعليم الأول فى التربية ويقع فى أربعة فصول، يتحدث فيها عن الأطفال بدءًا من تدبير أحوال المولود والرضاعة والأمراض التى تعرض للأطفال وعلاجها حتى تدبير أحوالهم إذا انتقلوا إلى سن الصبا.

٢- التعليم الثانى فى التدبير المشترك للبالغين ويقع فى ١٧ فصلاً ، يتحدث فيها عن الرياضة وأنواعها والتدليك والاغتسال وأنواع الأكل والشرب لممارسى الرياضة وتقوية الأعضاء الضعيفة وغير ذلك.

٣- التعليم الثالث فى تدبير المشايخ ، وهو ستة فصول يتحدث فيها عن تغذية وشراب كبار السن وفى الرياضة المناسبة لهم.

٤- التعليم الرابع فى تدبير بدن مَنْ مزاجه فاضل، ويقع فى خمسة فصول ، يتحدث فيها عن استصلاح المزاج ذى الحرارة الزائدة وذى

البرودة الزائدة، وتسمين النحيل ، وإنحال السمين (الريجيم).

٥- الجزء الخامس فى الانتقالات ، ويقع فى فصل واحد عن تدبير فصول السنة، وجملة واحدة فى تدبير المسافرين وتقع فى ثمانية فصول يتحدث فيها عما يجب عمله بالنسبة للمسافر فى الحر أو البرد، واتقاء مضرة المياه المختلفة، وتدبير أحوال المسافر فى البحر.

الفن الرابع : فى تصنيف وجوه المعالجات بحسب الأمراض الكلية.

ويشتمل على ٣٢ فصلاً ، يتحدث فيها عن علاج القيء والإسهال وعن الحقن والفصد والحجامة ومعالجات السدد والأورام والقروح، وعن القطع وفساد العضو، والكي، وتسكين الأوجاع ، وأنواع العلاج التى يجب أن يبدأ بها الطبيب.

الجزء الثانى : المجموع فى الأدوية المفردة

وهو يشتمل على جملتين :

الجملة الأولى فى القوانين الطبيعية من أمر الأدوية، وقد قسمها ابن سينا إلى ست مقالات :

المقالة الأولى فى أمزجة الأدوية المفردة.

المقالة الثانية فى تعرف قوى أمزجة الأدوية بالتجربة.

المقالة الثالثة فى تعرف أمزجة الأدوية المفردة بالقياس.

المقالةالرابعة فى تعرف أفعال قوى الأدوية المفردة.

المقالة الخامسة فى أحكام تُعرض للأدوية من الخارج.

المقالة السادسة فى التقاط الأدوية وادخارها.

الجملة الثانية فى ألواح وقواعد فى بيان الأدوية المفردة، وقد قسمها إلى ألواح وإلى قواعد ، فأما الألواح والخواص :

اللوح الثانى فى الزينة.

اللوح الثالث فى الأورام والبثور.

اللوح الرابع فى الجراح والقروح.

اللوح الخامس فى آلات المفاصل.

اللوح السادس فى أعضاء الرأس.

اللوح السابع فى أعضاء العين.

اللوح الثامن فى أعضاء النفس والصدر.

اللوح التاسع فى أعضاء الغذاء.

اللوح العاشر فى أعضاء النفض (الأمعاء والمجارى البولية والأعضاء التناسلية).

اللوح الحادى عشر فى الحميات.

اللوح الثانى عشر فى السموم.

أما القواعد فقسمها إلى قسمين ، القسم الأول فى تذكرة عدة ألواح أخرى تحدث فيها عن إبدال الأدوية وغير ذلك .

القسم الثانى فى بيان الأدوية المفردة على ترتيب جيد، وقد قسمه

إلى ٢٨ قسمًا، حسب الحروف الأبجدية(أبجد هوز...) حيث بدأ باسم الدواء ثم الحديث عن ماهيته، ثم اختيار أجوده ، ثم طبعه (من حيث الحرارة والبرودة وغير ذلك) ثم أفعاله وخواصه، ثم تأثيره على أنواع الألواح المذكورة فى القسم الأول من هذه الجملة.

والجزءان الأول والثانى - وهما الجزءان السابقان - يشتملان على الطب النظرى عند ابن سينا وعلى ماذكره من أدوية مفردة.

الجزء الثالث : فى الجزء العملى الحافظ للصحة والعملى المفيد للصحة:

يشتمل هذا الجزء من كتاب القانون فى الطب على ٢٢ فنًّا ، وكل فن يشتمل على عدة مقالات، وكل مقالة تنقسم إلى عدة فصول ، وهو يستوفى الكلام فى الأمراض الجزئية التى تصيب أعضاء الإنسان سواء منها الأمراض الظاهرة أو الأمراض الباطنة، وهذا الجزء يقع فيما يقرب من ألف صفحة مطبوعة من الحجم الكبير، لذلك سوف نحاول عرض مايشتمل عليه باختصار شديد.

الفن الأول : فى أمراض الرأس والدماغ وهو خمس مقالات.

المقالة الأولى فى كليات أحكام أمراض الرأس والدماغ، وتقع فى ٢٤ فصلاً.

المقالة الثانية فى أوجاع الرأس وهو أصناف ، وتقع فى ٣٤ فصلاً.

المقالة الثالثة فى أورام الرأس وتفرق اتصالاته ، وتقع فى ١١ فصلاً.

المقالة الرابعة فى أمراض الرأس وأكثر مضرتها فى أفعال الحس والسياسة، وتقع فى ١٢ فصلاً.

المقالة الخامسة فى أمراض دماغية آفاتها فى أفعال الحركة الإرادية قوية، وتقع فى ٩ فصول.

الفن الثانى : فى أمراض العصب ، وهو مقالة واحدة، تقع فى ١٠ فصول.

الفن الثالث : فى تشريح العين وأحوالها وأمراضها ، وهو أربع مقالات.

المقالة الأولى فى كلام كلى عن أوائل أحوال العين وعن الرمد، وتقع فى ١٢فصلاً.

المقالة الثانية فى باقى أمراض المقلة وأكثره فى العلل التركيبية والاتصالية، وتقع فى ١٧ فصلاً.

المقالة الثالثة فى أحوال الجفن ومايليه ، وتقع فى ٢٢ فصلاً.

المقالة الرابعة فى أحوال القوة الباصرة وأفعالها ، وتقع فى ١١ فصلاً.

الفن الرابع : فى أحوال الأذن.

وهو مقالة واحدة تقع فى ١٥ فصلاً.

الفن الخامس : فى أحوال الأنف ، وهو مقالتان .

المقالة الأولى فى الشم وآفاته والسيلانات ، وتقع فى ٥ فصول.

المقالة الثانية فى باقى أحوال الأنف، وتقع فى ١٠ فصول.

الفن السادس: فى أحوال الفم واللسان .

وهو مقالة واحدة تقع فى ٢٠ فصلاً.

الفن السابع : فى أحوال الأسنان.

وهو مقالة واحدة تقع فى ١٩ فصلاً.

الفن الثامن : فى أحوال اللثة والشفتين .

وهو فى مقالة واحدة تقع فى ١٣ فصلاً.

الفن التاسع : فى أحوال الحلق.

وهو مقالة واحدة تقع فى ١٣ فصلاً.

الفن العاشر : فى أحوال الرئة والصدر ، وهو خمس مقالات.

المقالة الأولى فى الأصوات وفى النفس ، وتقع فى ٣٩ فصلاً.

المقالة الثانية فى الصوت ، وتقع فى ٨ فصول.

المقالة الثالثة فى السعال ونفث الدم، وتقع فى فصلين.

المقالة الرابعة فى أصول نظرية من علم أورام أعضاء نواحى الصدر وقروحها سوى القلب، وتقع فى ١٤ فصلاً.

المقالة الخامسة فى أصول عملية فى ذلك ، وتقع فى ٥ فصول.

الفن الحادى عشر : فى أحوال القلب ، وهو مقالتان .

المقالة الأولى فى مبادىء أصول القلب، وتقع فى ٨ فصول.

المقالة الثانية فى جزئيات مفصلة منها ، وتقع فى ٩ فصول.

الفن الثاني عشر : في الثدي وأحواله.

وهو مقالة واحدة ، تقع في ١١ فصلاً.

الفن الثالث عشر : في المرىء والمعدة وأمراضهما ، وهو خمس مقالات.

المقالة الأولى في أحوال المرئ وفي الأصول من أمر المعدة، وتقع في ٢٨ فصلاً.

المقالة الثانية في تدبير آلام المعدة وآلامها وضعفها وحال شهوتها، وتقع في ٩ فصول.

المقالة الثالثة في الهضم ومايتصل به ، وتقع في ٨ فصول.

المقالة الرابعة في الأمراض الآتية والمعتركة العارضة للمعدة، وتقع في ٦ فصول.

المقالة الخامسة في أحوال المعدة من جهة ما تشتمل عليه ويخرج منها، وشئ من أحوال المراق وما يليها ، وتقع في ١١ فصلاً.

الفن الرابع عشر : في الكبد وأحوالها ، وهو أربع مقالات.

المقالة الأولى في كليات أحوال الكبد ، وتقع في ١٠ فصول.

المقالة الثانية في ضعف الكبد وسددها وجميع مايتعلق بأوجاعها ، وتقع في ٤ فصول.

المقالة الثالثة في أورام الكبد وتفرق اتصالها ، وتقع في ١٣ فصلاً.

المقالة الرابعة في الرطوبات التي تعرض لها بسبب الكب أن تندفع

باردة أوتحتقن ، وتقع فى ٧ فصول.

الفن الخامس عشر : فى أحوال المرارة والطحال ، وهو مقالتان .

المقالة الأولى فى تشريح المرارة والطحال وفى اليرقات، وتقع فى ٧ فصول.

المقالة الثانية فى باقى أحوال الطحال، وتقع فى ١٠ فصول.

الفن السادس عشر : فى أحوال الأمعاء والمقعدة، وهو خمس مقالات.

المقالة الأولى فى تشريحها وفى الاستطلاق المطلق، وتقع فى ٣ فصول.

المقالة الثانية فى معالجات أصناف الاستطلاقات المختلفة المذكورة بعد الفراغ من العلاج الكلى ، وتقع فى ١٦ فصلاً.

المقالة الثالثة فى ابتداء القول فى أوجاع الأمعاء، وتقع فى ١٧ فصلاً.

المقالة الرابع فى علاج القولنج والكلام فى إيلاوس وأشياء جزئية من أمراض الأمعاء وأحوالها، وتقع فى ٣٨ فصلاً.

المقالة الخامسة فى الديدان ، وتقع فى ٩ فصول.

الفن السابع عشر : فى علل المقعدة.

وهومقالة واحدة تقع فى ٢١ فصلاً.

الفن الثامن عشر : فى أحوال الكلية ، وهو مقالتان.

المقالة الأولى فى كليات أحكام الكلية وتفصيلها ، وتقع فى ١٢ فصلاً.

المقالة الثانية فى أورام الكلية وتفرق اتصالها ، وتقع فى ١٦ فصلاً.

الفن التاسع عشر : فى أحوال المثانة والبول ، وهو مقالتان.

المقالة الأولى فى أحوال المثانة ، وتقع فى ٢٨ فصلاً.

المقالة الثانية فى الأوقات التى تعرض للبول ، وتقع فى ٣٣ فصلاً.

الفن العشرون : فى أحوال أعضاء التناسل من الذكران دون النسوان، وهو مقالتان.

المقالاة الأولى فى الكليات وفى الباه ، وتقع فى ٣١ فصلاً.

المقالة الثانية فى أحوال هذه الأعضاء مما لا يتصل بالباه ، وتقع فى ٣٠ فصلاً.

الفن الحادى والعشرون : فى أحوال أعضاء التناسل وهو أربع مقالات.

المقالة الأولى فى الأصول وفى العلوق والوضع ، وتقع فى ١١ فصلاً.

المقالة الثانية فى الحمل والوضع ، وتقع فى ١٤ فصلاً.

المقالة الثالثة فى سائر أمراض الرحم سوى الأورام وما يجرى مجراها، وتقع فى ٢٠ فصلاً.

المقالة الرابعة فى آفات الرحم وأورامها وما يشبه ذلك ، وتقع فى

١٧ فصلاً.

الفن الثاني والعشرون : في أمراض ظاهرة وطرفية الأعضاء ، وهو مقالتان.

المقالة الأولى فيما يعرض لها من آفات المقدار والوضع ، وتقع في ٦ فصول.

المقالة الثانية في أوجاع هذه الأعضاء ، وتقع في ١٤ فصلاً.

الجزء الرابع : في الأمراض التي لا تختص بعضو بعينه

يشتمل هذا الجزء على سبعة فنون، وكل فن يشتمل على عدة مقالات ، وكل مقالة تنقسم إلى عدة فصول .

الفن الأول : كلام كلي في الحميات ، وهو مقالتان.

المقالة الأولى في حمى يوم ، وتقع في ٣٠ فصلاً.

المقالة الثانية في كلام كلي في حميات العفونة وتقع في ٥٦ فصلاً.

الفن الثاني : في تقدمه المعرفة وأحكام البحران ، وهو مقالتان.

المقالة الأولى في البحران ومذاهب الاستدلال على الخير والشر، وتقع في ٩٣ فصلاً.

المقالة الثانية في أوقات البحران وأيامه وأدواره ، وتقع في ١١ فصلاً.

الفن الثالث : كلام مشبع في الأورام والبثور ، وهو ثلاث مقالات.

المقالة الأولى فى الحارة منها والفاسدة ، وتقع فى ٣٣ فصلاً.

المقالة الثانية فى الأورام الباردة وما يجرى معها ، وتقع فى ١٩ فصلاً.

المقالة الثالثة فى الجزام ، وتقع فى فصلين.

الفن الرابع : فى تفرق الاتصال سوى مايتعلق بالكسر والجبر، وهو أربع مقالات.

المقالة الأولى فى كلام مجمل فى الجراحات ، وتقع فى ١١ فصلاً.

المقالة الثانية فى السحج والرض والفسخ والوثى والسقطة والصدمة والخزق ، وتقع فى ١٨ فصلاً.

المقالة الثانية فى القروح وأصناف ذلك ، وتقع فى ١٤ فصلاً.

المقالة الرابعة فى تفرقة الاتصال فى العصب وما لا يتعلق بالجبر من تفرق الاتصال للعظام ، وتقع فى ١٤ فصلاً.

الفن الخامس : فى الجبر (أى علاج الكسور والخلع وماشابه ذلك)، وهو ثلاث مقالات.

المقالة الأولى فى الخلع وما يتعلق بذلك ، وتقع فى ٣١ فصلاً.

المقالة الثانية فى أصول كلية فى الكسر، وتقع فى ٢٠ فصلاً.

المقالة الثالثة فى كسر عضو عضو (ويتناول فيها كسر أعضاء الجسم عضوًا عضوًا بدءًا من الجمجمة حتى أصابع القدم)، وتقع فى

١٩ فصلاً.

الفن السادس : كلام مجمل فى السموم ، وهو فى خمس مقالات.

المقالة الأولى فى أصول مايُعلم من أحوال السموم المشروبة وتفصيل القول فى معالجات السموم التى ليست بحيوانية وغير ذلك، وتقع فى ٩١ فصلاً.

المقالة الثانية فى السموم المشروبة الحيوانية ، وهى قسمان ، يقع الأول فى ١٤ فصلاً والثانى فى ٢٠ فصلاً.

المقالة الثالثة فى تدبير النهش الكلى وفى طرد الحشرات وفى علامات لدغ الحيات وأصنافها ، وتقع فى ٥٧ فصلاً.

المقالة الرابعة فى عض الإنسان وذوات الأربع، وتقع فى ١٨ فصلاً.

المقالة الخامسة فى لسوع الحشرات والرتيلاوات (العناكب وأم ٤٤ وغيرها)، وتقع فى ٣٠ فصلاً.

الفن السابع : فى الزينة (والمقصود بالزينة هنا شكل الإنسان من حيث الشعر والجلد بما يتعرض له من إصابات، والسمنة والنحول وغيرها) ، وهو أربع مقالات.

المقالة الأولى فى أحوال الشعر وفى الحزاز (وهو القشر) ، وتقع فى ٢٩ فصلاً.

المقالة الثانية فى أحوال الجلد من جهة اللون ، وتقع فى ١٤ فصلاً.

المقالة الثالثة فيما يتعرض للجلد لا فى لونه (ويقصد هنا الحبوب

والتشققات وغيرها) وتقع فى ٣٢ فصلاً.

المقالـة الرابعـة فـى أحوالـة تتعلـق بـالبدن والأطـراف ، وتقـع فـى ١٨ فصلاً.

الجزء الخامس : في الأدوية المركبة

يبدأ ابن سينا هذا الجزء بمقالة علمية يتحدث فيها عن الحاجة إلى الأدوية المركبة وكيفية التركيب، ثم يقسم الجزء إلى جملتين .

الجملـة الأولـى : فـى المركبـات الراتبـة فـى القراباذنيـات، وتشـتمل على اثنى عشر مقالة.

المقالـة الأولـى فـى الترياقـات والمعـاجين الكبـار ، وتقـع فـى ٨٥ فصلاً.

المقالة الثانية فى كلام مشبع فى الإياراجات، وتقع فى ٢٥ فصلاً.

المقالـة الثالثـة فـى الجوارشـنات المسـهلة وغـير المسـهلة ، وتقـع فى ٥٩ فصلاً.

المقالة الرابعة فى السفوفات والقمايح ووجورات الصبيان، وتقع فى ٢٢ فصلاً.

المقالة الخامسة فى اللعوقات ، وتقع فى ١٠ فصول.

المقالة السادسة فى الأشربة والربويات، وتقع فى ٧٧ فصلاً.

المقالة السابعة فى المربيات والأنبجات ، وتقع فى ١٧ فصلاً.

المقالة الثامنة فى الأقراص ، وتقع فى ٦٠ فصلاً.

المقالة التاسعة فى السلاقات والحبوب ، وتقع فى ٣٤ فصلاً.

المقالة العاشرة فى الأدهان ، وتقع فى ٤٦ فصلاً.

المقالة الحادية عشرة فى المراهم والضمادات ، وتقع فى ٢٢ فصلاً.

المقالة الثانية عشرة فى ذكر المعاجين والجوارشنات وغيرها من الأدوية المركبة التى تصلح للأمراض فى عضو عضو (وذكر ابن سينا هنا الأمراض التى تصيب أعضاء الإنسان عضوًا عضوًا ، بدءًا بالرأس وانتهاء بالقدم ، مع ذكر أدويتها المركبة) ، وتقع فى ٨٩ فصلاً.

الجملة الثانية : فى الأدوية المجربة فى مرض مرض (أى فى الأمراض التى تصيب الإنسان مرضًا مرضًا بدءًا بما يصيب الرأس ، وانتهاء بما يصيب القدمين) ، وهى عشر مقالات.

المقالة الأولى فى أحوال الرأس ومافيه ، وتقع فى ١٧ فصلاً.

المقالة الثانية فى العين وما يتعلق بذلك من الأمراض، وتقع فى ٦٠ فصلاً.

المقالة الثالثة فى الأذن ومايتعلق بذلك من الأمراض ، وتقع فى ١٣ فصلاً.

المقالة الرابعة فى أحوال الأسنان ومايتعلق بذلك ، وتقع فى ٩ فصول.

المقالة الخامسة فى الفم والحلق والجوف الأعلى ، وتقع فى ٢٩ فصلاً.

المقالة السادسة فى أحوال الجوف الأسفل، وتقع فى ٦٧فصلاً.

المقالة السابعة فى أوجاع المفاصل والنقرس وعرق النسا، وتقع فى ٨ فصول.

المقالة الثامنة فى داء الثعلب ، وتقع فى فصلين.

المقالة التاسعة فى صفة الأكيال والأوزان من كناش الساهر.

المقالة العاشرة فى ذكر الأوزان والمكاييل من كناش يوحنا بن سرافيون.

ويجدر بالذكر هنا أن نشير إلى أن بعض المقالات لم تتعد النصف صفحة، بينما طال بعضها إلى مايزيد على المائة صفحة ، كما أن بعض الفصول لم يتعد السطر الواحد ، بينما طال بعضها إلى عشرات الصفحات، فهو يتوقف عند القدر المناسب دون زيادة لا يحتاج إليها الباحث، فهو لا يقيس العلم بالصفحات وإنما بالمحتوى دون زيادة أو نقصان.

كما تجدر الإشارة إلى تفوق كتاب القانون فى الطب لابن سينا فى حسن تبويبه ودقة تقسيمه ، وهو ليس تقسيمًا شكليًّا ، وإنما هو تقسيم مفيد للباحثين والأطباء والدارسين.

* * *

أهمية الكتاب :

اشتمل كتاب القانون فى الطب على كافة فروع العلوم الطبية، مع إضافات حيوية إلى كل فرع من هذه الفروع، لهذا صار هذا الكتاب مصدرًا رئيسيًّا لدراسة الطب فى الدنيا بأسرها لما يقرب من عشرة قرون ، وهى فترة زمنية مذهلة للاعتماد فى الدراسة والتطبيق على كتاب، فهو معلّم لأطباء الدنيا طوال هذه القرون، ويمكننا أن نشير - مجرد إشارة - إلى ما أضافه هذا الكتاب الجليل إلى العلوم الطبية وذلك فى النقاط الآتية :

- كان أول من وصف دودة الأنكلستوما وسماها الدودة المستديرة، ولم ينتبه العالم لاكتشاف ابن سينا لها إلا حين تكلم عنها دوبينى الإيطالى بعد تسعمائة عام من ذكرها فى كتاب القانون فى الطب.

- كان أول من اكتشف الفرق بين اليرقان الناشىء عن انحلال الكريات الدموية، واليرقان الناشىء عن انسداد القنوات الصفراوية.

- أول من اكتشف انتقال مرض السل بالعدوى ، ووصفه وصفًا تفصيليًّا.

- أول من توصل إلى أن نسبة الذكورة والأنوثة فى الجنين تُنسب إلى الرجل وليس إلى المرأة.

- وضع تشخيصًا دقيقًا لشلل الوجه ، ولداء الجنب.

- أوضح الظواهر المرضية لخراج الكبد والتهاب الحيزوم.
- كشف عضلات العين الداخلية.
- شخص كثيرًا من الأمراض الجلدية.
- وصف الأمراض التناسلية بالتفصيل.
- وصف أمراض النساء كالعقم وانسداد المهبل والإسقاط والتوليد.
- أول من اكتشف أن تعفن الرحم هو الذى يؤدى إلى حمى النفاس.
- وضع تشخصيات دقيقة مكتملة الجوانب عن حصى المثانة لم يضف إليها الطب شيئًا جديدًا حتى يومنا هذا.
- شخص حالات البواسير البولية والأورام الليفية فى الرحم.
- اعتمد على قياس النبض فى تشخيص كثير من الأمراض.
- اهتم بالعوامل النفسية أثناء العلاج.
- وصف النباتات الطبية وصفًا طبيًّا، واكتشف الكثير من الأدوية الجديدة التى لم تكن معروفة قبله.

وغير ذلك مما اشتمل عليه كتاب القانون فى الطب لابن سينا، فإننا لم نشأ إلا الإشارة لبعض ما أضافه إلى العلوم الطبية.

وكان هذا الكتاب سببًا فى انتشار اللغة العربية بوصفها لغة العلم فى أوروبا كلها، وبدأ هذا فى جامعة باليرمو فى إيطالية ، ثم امتد إلى

جامعة بولونيا وغيرها.

وظهــر تــأثير ابــن ســينا فــى مؤلفـات الطبيـب الدانمـاركى هـنرى هاربسـترانج ، وكذلـك ظهـر تـأثيره فـى جراحيـن أمثـال جوجليلمـو دى ساليتشيتو الإيطالى، وفى تلميذه لا فرانك مؤسس الجراحة فى فرنسا، وكـان الطبيـب الفرنسى الكبير جى دى شولياك واحدًا من المتحمسين لطب ابن سينا، وغيرهـم من الأطباء الذين هم تلاميذ تعلموا من كتاب القانون فى الطب.

يمثل كتاب القانون فى الطب نموذجًا للكتب الموسوعية الطبية من حيث دقة التبويب، فقد بدأ بالتشريح ، ثم علم وظائف الأعضاء ، ثم علـم طبـائع الأمـراض (أو الباثولوجيـا) ثـم خُتـم بعلـم العـلاج ، وهـو التبويب نفسه الذى تتبعه الموسوعات الطبية الحديثة.

يبقـى أن نذكـر أن كتـاب القـانون فى الطب لابن سينا قد طبع فى العصور الوسطى عشرين طبعة فى إيطاليا وحدها خلال عدد قليل من السـنوات، ممـا يشـير إلـى أهميـة الكتـاب ومـدى انتشـاره ، وأثـره فـى الطلاب والباحثين والأطباء والعلماء.

* * *

المؤلف:

هو أبو على الحسين بن عبدالله بن سينا الملقب بالشيخ الرئيس، والمعلم الثالث (بعد أرسطو والفارابي) ، وقد حفلت حياته بالأحداث.

ولد ابن سينا فى قرية أَفْشَنَة قرب خرميثن إحدى قرى بخارى فى أوزبكستان سنة ٣٧٥هـ/ ٩٨٠م . كان والده من محبِّى العلم، وكان يستضيف العلماء، وعلى يد أبيه وأيدى هؤلاء العلماء وغيرهم تعلم ابن سينا، لكنه بدأ يفوق أساتذته ، فأخذ يطّلع على الكتب وحده دون حاجة لمعلّم . وتمكن من الطب وعمره ١٦ سنة، وحانت أمامه الفرصة للشهرة حين مرض سلطان بخارى نوح بن منصور السامانى ، وعجز الأطباء عن مداواته ، ونجح ابن سينا، وكان عمره آنذاك ١٨ سنة، بعدها توفى والده، فبدأ رحلاته وعمره ٢٢ سنة، فدار فى البلدان المختلفة، وكان يُحتفى به فى كل بلاط بصفته طبيبًا بارعًا. وفى سنة ٤٠٣هـ بدأ تأليف كتاب القانون فى الطب وتعرف إلى عبيد الله الجوزجانى الذى صار تلميًا لابن سينا وأملى عليه معظم مؤلفاته، وتنقل بين البلاد وذهب إلى بغداد، وتقلبت حياته تقلبات عنيفة، فحينًا كان وزيرًا وحينًا رئيسًا للأطباء ، وحينًا نراه فى غياهب السجون.

لكنه خلال حياته كان دارسًا باحثًا منقبًاعن العلوم، يسعد بها، ولا يستغنى عنها ، ولم يتوقف عن الدراسة والتأليف، لذلك اتسعت معارفه، فصار عالمًا موسوعيًا، تخصص فى الطب والفلسفة والكيمياء

والفلك والرياضيات والمنطق والتاريخ وعلوم الأرض والموسيقى وعلم النبات وغيرها.

وألف عددًا كبيرًا من المؤلفات، بعضها موسوعى مثل كتاب الشفاء فى الفلسفة وكتاب القانون فى الطب، وبعضها رسائل صغيرة مثل رسالة خواص خط الاستواء، أو رسالته فى مخارج الحروف، وقد وصلت مؤلفاته إلى ٢٥٠ مؤلفًا.

وتعجب حين نعلم أن ابن سينا هو أول من تكلم عن تداخل النغمات (الهارموني) فى الموسيقى، وأنه أول من تكلم عن الحفريات الموجودة فى طبقات الأرض، وأنه أول من وصف خواص زيت الزاج حمض الكبريتيك **Sulphutic Acid** وكذلك الكحول ، بل هو أول من ابتكر طريقة لإعدادهما، ونعجب حين نعلم أن له دراسات مبتكرة فى الحركة، والطاقة، والفراغ ، والضوء ، والحرارة، والكثافة النوعية ، ونعجب حين نعلم أن رسالته فى المعادن ظلت أهم مصدر لدراسة علم طبقات الأرض فى أوروبا حتى القرن الثالث عشر، أى اعتمدوا عليها لمدة ثلاثة قرون من الزمان.

واخترع آلات للقياس الدقيق، واكتشف معارف، وحقق إنجازات مذهلة خلال عمره الذى لم يتعد ٥٣ عامًا إذ كانت وفاته سنة ٤٢٨هـ مصابًا بداء القولنج، ويقال إن غلمانه زادوا له جرعة العلاج بقصد قتله حتى لا يكتشف سرقتهم لبعض أمواله، وبالرغم من عطائه العلمى

الغزير إلا أن كتاب الشفاء وكتاب القانون فى الطب يقفان فى مقدمة مؤلفاته التى أفادت البشرية جمعاء.

لم يكد العم يفرغ من حديثه عن ابن سيناء وكتابه حتى هب ألبرتو واقفًا ، وسأل عمه أن يهديه إلى من يعلمه اللغة العربية ، فقد اقتنع اقتناعًا تامًّا بأن إدارة جامعة باليرمو محقة فى ضرورة تعلم اللغة العربية لمن أراد أن يتعلم الطب على أصوله.

* * *

كتاب

الحاوى فى علم التداوى

لابد من فسخ الخطبة.

هكذا قال بهاء لوالدته ، حاولت ثنيه عن ذلك الرأى فوجدته مصممًا عليه، حاولت أن تناقشه فى الأمر ، لكنه كان رافضًا لأى مناقشة فى موضوع فسخ خطبته لوفاء، وقال لوالدته بإصرار :

نحن مختلفان تمام الاختلاف، طبائعها فى جانب وطبائعى فى جانب آخر، تفكيرها فى ناحية وتفكيرى فى ناحية أخرى، وكلما زاد تعاملنا زادت مسافات البعد بيننا.

قالت له والدته :

امنح نفسك فرصة يابنى، فحين تتزوجان ..

قاطعها قائلاً :

حين نتزوج سوف تزيد الهوة بيننا ، فأنا طبيب فى بداية عملي، وأقضى معظم وقتى مع المرضى فى المستشفى ، وهذا لن يزيد الأمر إلا سوءًا.

حاولت الأم كثيرًا، ولكن لم يكن هناك بد.

ذهب بهاء ففسخ الخطبة.

فى اليوم التالى أشفقت أمه عليه وهو ذاهب إلى المستشفى ، توقعت أن يكون يومًا عصيبًا بالنسبة له ، وربما انعكس الأمر على مداواته للمرضى، حاولت أن تجعله يجلس فى البيت ولا يذهب إلى المستشفى فى ذلك اليوم ، لكنها أخفقت.

قالت له : سوف أكون قريبة من المستشفى فهل أمر عليك ظهرًا كى نعود معًا إلى البيت يابهاء؟

قال له : لا بأس.

خرج بهاء مقطبًا جبينه ، يستقبل يومه غاضبًا ، وجلست والدته تفكر فيما يجب عليها عمله.

ذهبت الأم إلى المستشفى فوصلت إليها فى الساعة الثانية ظهرًا، وجلست فى (الاستراحة) تنتظر مجىء ولدها الطبيب الشاب، الذى يحمل هموما ضعف سنه بسبب سوء اختياره لخطيبته، لكنها بعد تفكير رأت أنه أحسن صنعًا بفسخ الخطبة، إذ كان الأمر سوف يزيد تعقيدًا بعد الزواج.

رأت ولدها قادمًا على البعد، ورأت أحد المرضى يقترب منه محدثًا إياه ، ثم رأت ولدها ينهر ذلك المريض، ويواصل سيره، بينما تراجع المريض عائدًا.

كانت الأم متخصصة فى الحضارة العربية، وحين رأت ولدها ينهر ذلك المريض تذكرت ما قرأته عن مدى رفق الأطباء العرب بمرضاهم.

أثناء العودة إلى البيت قالت الأم لولدها إنها رأته ينهر المريض، فقال لها :

إنه مريض سخيف، كثير الإلحاح، يريد أن أتفرغ له كى أحدثه عن تفاصيل علاجه، وإذا لم أنهره كما رأيت لتمادى في سيره خلفى ومضايقتى بأسئلته الغبية.

علمت الأم أن الوقت غير مناسب للتحدث إلى ولدها فيما فعله، لذلك تحدثت إليه فى أمور أخرى.

فى المساء تحدثت الأم إليه عن ذلك المريض مرة أخرى، وأخبرته أنها حين رأته ينهر مريضه تذكرت طبيبًا عربيًّا عظيمًا اسمه أبو بكر الرازى، صاحب الموسوعة الطبية التى أسماها كتاب الحاوى فى علم التداوى.

جذب عنوان الكتاب انتباه بهاء وسأل والدته عن ذلك الكتاب، فهم لا يدرسون تاريخ الطب العربى فى كلية الطب .

قالت له والدته :

إن دراسة تاريخ الطب عمومًا منذ نشأته حتى الآن مهمة لدراس الطب، وعلى أى حال إذا شئت حدثتك عن الرازى وكتابه.

قال لها بهاء : وهل كان ينهر مرضاه مثلما فعلت اليوم، لذلك ذكرتك به يا أمي؟

قالت له : سوف أحدثك عنه ، وسوف تجد الإجابة.

الكتـاب

يعد كتاب الحاوى فى علم التداوى واحدًا من أهم الكتب الطبية، وهو عبارة عن موسوعة طبية تشتمل على فروع الطب العام، ويتجلى فـى هـذا الكتـاب مـا تمـيز بـه الطـب العربـى مـن خصـائص فنيـة ومصطلحـات طبيـة ومنـاهج علميـة نظريـة وتطبيقيـة، وهـو مزيـج مـن المعارف الطبية اليونانية والشرقية معًا خاصة الهندية منها، بالإضافة إلى ما اكتشفه بنفسه نتيجة لتجاربه سواء الطبية أو الدوائية.

يقع كتاب الحاوى فى علم التداوى فى ثلاثين مجلدًا، فهو كتاب ضخم جدًّا ، وقد قسمه أبو بكر الرازى إلى ١٢ قسمًا مرتبة كالتالى:

القسم الأول : فى علاج المرضى.

القسم الثانى : فى الأمراض.

القسم الثالث : فى حفظ الصحة.

القسم الرابع : فى الجبر.

القسم الخامس : فى الجراحات.

القسم السادس : فى الأدوية المفردة.

القسم السابع : فى الأغذية.

القسم الثامن : فى الأدوية المركبة.

القسم التاسع : فى صناعة الطب.

القسم العاشر : فى الصيدلة.

القسم الحادى عشر : فى الأبدان والتشريح.

القسم الثانى عشر : فى منافع الأعضاء.

ولا نرى أننا فى حاجة إلى الإشارة إلى رءوس الموضوعات التى عرضها كل قسم من هذه الأقسام الاثنى عشر ، إذ يكفى ما عرضناه من إشارات لرءوس الموضوعات التى تناولها كتاب القانون فى الطب لابن سينا، فإن فيها الدليل على تفاصيل الموضوعات التى تناولتها كتب الطب العربية فى مثل تلك المباحث العلمية، فهو حين يتحدث عن منافع الأعضاء - على سبيل المثال- يعرض وظيفة أعضاء الجسم عضوًا عضوًا ، الرأس والعين والأذن والقلب والكبد..إلخ.

أهمية الكتاب :

تجلت أهمية كتاب الحاوى فى علم التداوى فى اتجاهين، أولهما أنه كان نبراسًا هاديًا ومعلمًا لأطباء العرب الذين جاءوا بعد أبى بكر الرازى وفى مقدتهم الشيخ الرئيس ابن سينا، وثانيهما أن أوروبا انتفعت به زمنًا طويلاً ، فقد كان واحدًا من الكتب التسعة التى تكونت منها المكتبة الخاصة بمدرسة الطب فى باريس فى القرن الرابع عشر

الميلادي، وكان مصدرًا مهمًّا للعلوم الطبية فى أوروبا خاصة فى شئون **العلاج ، وظلت له منافعه العلمية ودوره المؤثر فى الدراسات الطبية لما** بعد عصر النهضة.

والكتاب يشتمل على المعارف الطبية التى توصل إليها القدماء سواء فى بلاد اليونان أو فى بلاد الهند، ويشتمل أيضًا على الإنجازات الطبية الباهرة التى توصل إليها الرازى نفسه ، فهو أول من أوجد الصلة بين تأثير العلاج والحالة النفسية للمريض ، وهو أول من استخدم حيوانات التجارب، فكان يجرى تجاربه الدوائية على القرود وغيرها من الحيوانات، فيعطى الحيوان الدواء ويراقب تأثيره ، فإذا صح أعطاه للمرضى من البشر، كذلك أوضح الكتاب ضرورة العناية بتاريخ المرض، وتسجيل تطوراته حتى يتمكن الطبيب من ملاحظة الحالة المرضية وعلاجها. وكان الرازى هو أول من قام بتشخيص مرضى الحصبة والجدري، ويعد من أوائل الأطباء الذين استخدموا معلوماتهم الكيمائية فى مجال الطب.

الترجمة الأولى لكتاب الحاوى فى علم التداوى تمت فى صقلية بعد وفاة الرازى بثلاثة قرون ونصف تقريبًا ، قام بها سالم بن فرج الصقلى إلى اللاتينية سنة ١٢٧٩م. ونشرت فى برشيا سنة ١٤٨٦م. ثم نشرت ترجمة أخرى فى البندقية سنة ١٥٤٢ ميلادية، وبعد ذلك توالت الترجمات إلى اللغات الأوروبية المختلفة الإنجليزية والفرنسية

والأسبانية .. وغيرها .. وتوالت طبعات الكتاب حتى منتصف القرن السابع عشر الميلاد.

* * *

المؤلـف :

هـو أبـو بكـر محمـد بـن زكريـا الـرازى ، ولـد فى مدينة الرى سنة ٢٤٠هـ/٨٥٤م. وتلقى تعليمه الأوّلى ، ثـم تخصص فى الرياضيات والفلك والفلسفة، وقد صرف وقته فى صغره فى تعلم الموسيقى، ومهر فى العزف على العود، وعمل فى شبابه بالصرافة، فلما بلغ الثلاثين من عمره تخصص فى الكيمياء، وتنطق مؤلفاته الكيمائية ببراعته وفكره المستنير، إذ جرد مؤلفاته من الإبهام والطلاسم، وكان يصف المواد التى يجرى عليها تجاربه، ثم يصف الأدوات التى يستخدمها فى كل تجربة، ويشرح بعد ذلك طريقة العمل، وقد تمكن من تحضير الكحول وحمض الكبريتيك، فلما بلغ الأربعين من عمره هجر الكيمياء وتفرغ لدراسة الطب.

ويقال إن اتجاهه للطب نتج عن حادثة وقعت أمامه حين رفض طبيب علاج أحد الفقراء ونهره بشدة، ولم يقبل مداواته والنظر فى مرضه إلا إذا سلمه أجره قبل أى شيء، حينذاك صمم الرازى على تعلم الطب، وبرع فيه براعة مذهلة، وفاق أطباء عصره جميعهم.

ولم يتوان الرازى عن الاجتهاد فى سبيل دراسة الطب، فارتحل إلى القدس ومصر وقرطبة ليتعلم على كبار الأطباء هناك ، وحانت فرصته للشهرة حين استدعاه عضد الدولة بن بويه - سلطان بغداد - كى يتخير له مكانًا مناسبًا لبناء مستشفى فى بغداد ، فقام الرازى بتجربة تثبت دقة نظره الثاقب، إذ أحضر قطعة من اللحم النيىء، وقسمها إلى قطع ، وعلّق كل قطعة فى مكان فى الهواء الطلق فى أرجاء بغداد ، ثم نصح السلطان ببناء المستشفى فى المكان الذى كان فيه اللحم أقل ميلاً إلى التعفن ، فإنه يدل على أن هذا المكان أكثر نقاءً من غيره. واختار سلطان بغداد أبابكر الرازى رئيسًا لهذا المستشفى.

وأعد الرازى قاعة للمحاضرات فى المستشفى حيث كان يلقى محاضراته الطبية على الأطباء، وكان يؤكد عليهم ضرورة الاهتمام بالفقراء، وعدم التفرقة بين المرضى فى المعاملة ، فلا يوجه الطبيب اهتمامه إلى الرجل الثرى وأصحاب السلطة دون الفقراء والمحتاجين ، وكان ينصحهم دائمًا بحتمية الرأفة بالمرضى، فقد اشتهر الرازى بأنه كان رءوفًا بالمرضى ، شديد الحنان عليهم ، ولم ينهر مريضًا واحدًا طوال حياته ، وكان كثيرًا ما يعالج الفقراء دون أجر، بل أكثر من ذلك كان يصرف لهم الدواء مجانًا من عنده. وكان يركز على الحالة النفسية للمريض، ويرى أنها من أهم المداخل لسرعة الشفاء بإذن الله.

وكان الرازى كريم الأخلاق متواضعًا عطوفًا ، قدّره الحكام، وأحبه

الناس لما تحلى به من صفات حميدة، وتوفى فى بغداد سنة ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م. بعد أن فقد بصره.

وقد خلف أبو بكر الرازى تراثًا حافلاً من المؤلفات وصلت عددها إلى ٢٢٠ مائتين وعشرين مؤلَّفًا فى الرياضيات والكيمياء والفيزياء والفلك والمنطق والرياضيات، ويأتى كتاب الحاوى فى علم التداوى فى مقدمة تراثه العلمى الثري.

* * *

أدرك بهاء ما أرادت والدته أن تعلمه إياه ، وامتلأت عيناه بالدموع، وصمم على أن يفصل دائمًا بين مشكلاته الشخصية ومعاملته للمرضى، مثلما كان يفعل أبو بكر الرازي، ذلك الطبيب الذى لا مثيل له .

* * *

كتاب

فردوس الحكمة

هتفت سلوى : ماذا تفعل يامحمود ؟

قال لها : أجمع كراسات العام الماضى فى هذا الصندوق كما ترين.

سألته : لماذا تفعل ذلك ؟

أجابها : لكى نتخلص منها .

ثارت سلوى ، وقالت له : لماذا تجمع كراساتى مع كراساتك؟ ومن قال لك إنى أريد التخلص منها ؟ ، هل ..

قاطعها محمود قائلاً :

هذه كراسات انتهينا منها، فلماذا نحتفظ بها؟ ألن تزحم لنا المكان؟

حينذاك دخلت الأم فهدأت ابنتها سلوى وأوصت ولدها محمودًا بعدم الإغارة على كراسات أخته، وأن يتركها مادامت تبغى الاحتفاظ بها.

تخلص محمود بالفعل من كراسات الدراسة الخاصة بالعام الدراسى المنصرم، ووفر مكانًا يضع فيه الكتب التى ينوى قراءتها خلال العطلة الصيفية.

ذات يوم جلست سلوى بجوار والدها تمزح معه فقال محمود :

إيه ! لابد أنها تريد أن تطلب منك شيئًا يا أبى! فهذا المزاح ليس لله.

نهرته سلوى ، وضحكت الأم، وسألها والدها :

ماذا تبغين ياسلوى؟

أجابته :

لاشيء ، فقد أخجلني محمود ، وجعلني لا أجرؤ على طلب أى شيء .

ضحك والدها وقال لها :

بل اطلبى ماتشائين يا ابنتي.

قالت له : أريد مكانًا أضع فيه الكتب التى أنوى قراءتها خلال عطلة الصيف.

ضحك محمود وصفق بيديه هاتفًا:

إيه ! لقد غضبت حين أردت مساعدتكم بالتخلص من كراسات الدراسة الخاصة بالعام الماضي.. وهاهى ذى تزحم لك المكان، فتخلصى منها الآن إذا أردت أن تستمتعى بالقراءة فى الصيف.

قالت له سلوى غاضبة:

أنت لا تدرك قيمة ما تشتمل عليه هذه الكراسات من معلومات.

قال لها محمود ساخرًا :

معلومات قديمة.

فقالت له :

المعلومــات المفرقــة مهمــة ، ولايمكــن أن نعدهــا قديمــة إلا إذا جمعناهـا فـى كراسـة أو عـدة كراسـات، ثـم نتخلـص بعـد ذلـك مـن الكراسات القديمة.

ضحك محمود وقال :

وهل تريدين أن تحتفظى بمرجع لديك لعلوم السنة الفائتة؟

أجابته سلوى :

أجل يامحمود، فقد حدثنا أستاذنا عن عالم اسمه ابن ربن الطبرى، جمع ما كتبه العلماء السابقون فى كتاب له ، صار بعد ذلك من أهم الكتب.

سألها : وما اسم ذلك الكتاب ؟

أجابتـه : فردوس الحكمة ، ولو حدثتك عن ذلك الكتاب وصاحبه لأدركت أهمية الاحتفاظ بما يتعلمه الإنسان.

قال لها محمود :

حدثينى إذن عنه ، هأنذا أستمع إليك.

* * *

الكتـاب

يعد كتاب فردوس الحكمة لابن ربن الطبرى واحدًا من الكتب التى علّمـت العلمـاء، فهـو الـذى مهّـد السـبيل للأطبـاء العظمـاء أمثـال الرازى والأهـوازى وابـن سـينا، ولـم يقسـم ابـن ربـن الطـبرى كتابـه إلى أبواب وفصول ، إنما قسمه إلى أنواع جمع فيها بين الطب والصيدلة، فكان أقدم كتاب يصل إلينا يجمع بين دفتيه علم الطب مع علم الصيدلة معًا، وكـانت الكتـب قبلـه تؤلـف إمـا فـى هذا وإما فى ذاك ، أما من ناحية المهنة فكانت الصيدلة والطب مهنة واحدة ولذلك جمعهما فى كتاب واحد. وقد سمى أقسام الكتاب أنواعًا لأنه كان يرى أن العلوم أنواع ، وأن كل قسم من أقسام كتابه يحوى نوعًا من العلوم.

قسم ابن ربن الطبرى كتابه إلى أنواع، وجعل كل نوع فى مقالة أو أكثر، واشتملت كل مقالة على عدد من الأبواب، يكثر عددها أو يقل حسب الموضوعات التى يبحثها فيها.

وقد جعل كتابه فى سبعة أنواع بيَّنها كالتالى :

النـوع الأول : مقالـة واحـدة فـى بعـض المعـانى الفلسفية والمقولات والطبائع والكون والفساد.

النوع الثانى : خمس مقالات كالآتى :

الأولى فى علم الجنين والولادة.

الثانية فى وظائف الأعضاء فى النفس والبدن.

الثالثة فى مزاجات الأبدان.

الرابعة فى تربية الأطفال.

الخامسة فى تدبير الفصول والأسفار والعساكر.

النوع الثالث : مقالة واحدة فى الاغتذاء وأنواع الأغذية.

النوع الرابع : اثنتا عشر مقالة ، وهو أكبر أقسام الكتاب، تحدث فيها ابن ربن الطبرى عن الأمراض بصفة عامة، ثم الأمراض الخاصة ، فدرس أسبابها وطرق علاجها، مبتدئًا من الرأس حتى القدم، وجعل المقالة الأخيرة فى الفصد والحجامة والحجب والتعاويذ.

النوع الخامس : مقالة واحدة فى المذاقات والروائح والألوان .

النوع السادس : ست مقالات خاصة بالأدوية.

الأولى : فى كلام عام عن الأدوية.

الثانية : فى المادة الطبية، وتشتمل على خمسة أبواب :

١- فى الأدوية المفردة والعقاقير.

٢- فى الصموغ والأشياء المتجلية فى الأرض.

٣- فى الأصداف والأشياء المعدنية والدخان والرماد والزجاج.

٤- فى قوى الأرض والطين المختوم.

٥- فى إصلاح الأدوية وحفظها.

الثالثة : فى قوى الأدوية المسهلة وإصلاحها وهى باب واحد.

الرابعة : فى منافع أعضاء الحيوانات وتقع فى ٤٢ بابًا.

الخامسة : فى السموم وعلاماتها وعلاجها وتشتمل على بابين .

السادسة : تشتمل على ثمانية أبواب كالآتي:

١- فى الأدوية المركبة.

٢- الترياقات.

٣- الأقراص.

٤- الجوارشنات.

٥- الربوب.

٦- الأشربة.

٧- الأدهان.

٨- المرهمات.

النوع السابع : أربع مقالات كالتالى :

الأولى : فى البلدان.

الثانية : فى المياه.

الثالثة : فى الرياح .

الرابعة : فى الأفلاك والكواكب.

ويختم هذا النوع بذكر ملخص من كتب الهند الطبية.

* * *

أهمية الكتاب :

ترجع أهمية كتاب فردوس الحكمة لابن ربن الطبرى إلى أنه أول موسوعة طبية عربية، فكان مرجعًا للطب والصيدلة والتوثيق التاريخى للأفكار العلمية ونشأة الأدوية ، وقد استفاد فى كتابه هذا من كتب أبقراط وأرسطو وجالينوس ويوحنا بن ماسكويه وحنين بن إسحق، ويعتبر الجزء الرابع منه - أو النوع الرابع- أنفس ماجاء فيه حسب قول المستشرق البريطانى براون مؤلف كتاب الطب العربي، إذ جاء فى ذلك النوع الرابع ذكر لأسباب الأمراض وعلاجها من الرأس إلى القدم، وهو التقسيم الذى أستفاد منه الرازى بعد ذلك ثم ابن سينا.

وظهرت ثقافة ابن ربن الطبرى فى كتابه من حيث العلوم الطبية والصيدلانية، كما ظهرت معرفته باللغات المختلفة. ويعد كتاب فردوس الحكمة أحد المنابع الجليلة للطب العربى ، وظل واحدًا من الكتب التى درستها جامعات أوروبا قرنين من الزمان.

شهد له بمكانته الطبية ودوره وأهمية كتابه علماء الشرق والغرب، أمثال ابن أبى أصيبعة والبيهقى وقدرى حافظ طوقان ود. على عبدالله الدفاع، وكذلك براون وكارل بروكلمان ووليم أوسلر .. وغيرهم.

* * *

المؤلف

هو أبو الحسن على بن سهل بن ربن الطبري، ولد سنة ١٥٣هـ/ ٧٧٠م. اهتم والده بتعليمه اللغات ، فتعلم العربية والسريانية والعبرية واليونانية بالإضافة إلى الفارسية، وكان والده من الأدباء دراسى الطب والفلسفة، وتعلم ابن ربن الطبرى فى بلدته مرو التابعة لطبرستان ، ثم أنتقل إلى طبرستان، وكان من أسرة يهودية، لكنه أسلم سنة ٢١٨هـ على يد الخليفة العباسى المعتصم بن هارون الرشيد وكان طبيبًا خاصًّا له ، فلما ولى المتوكل الخلافة طلب من ابن ربن الطبرى أن يظل طبيبًا خاصًا له ولعائلته، وذاع صيته بين الناس.

كان ابن ربن الطبرى أستاذًا لجيل من الأطباء ، يكفيه أن منهم الطبيب الشهير أبى بكر الرازى.

وبالرغم من أن ابن ربن الطبرى كان من سلالة من اليهود المتمسكين بدينهم، إلا أنه حين اطلع على الدين الإسلامى الحنيف هداه الله - عزوجل- إلى الإسلام، فتعمق فى العلوم الدينية، وكان يجمع الشباب ويحثهم على التمسك بتعاليم الدين الإسلامى الذى هو الدين الحق.

عاش حتى سنة ٢٣٥هـ./ ٨٥٠م، وخلّف عددًا من الكتب منها : تحفة الملوك ، وكناش الحصوة ، وكتاب منافع الأدوية والأطعمة والعقاقير، وفى الأمثال والأدب على مذهبى الروم والعرب، وفى حفظ

الصحة، وفى الحجامة، وفى ترتيب الأغذية، إلا أن كتاب فردوس الحكمة يعد أعظم مولفاته على الإطلاق.

* * * *

فهم محمود ما قصدته أخته سلوى ، وبدأ معها فى تلخيص المعلومات المهمة التى حوتها كراساتها فى العلوم المختلفة، فهو يسبقها بعامين ، لكنه وجد نفسه قد استفاد من استعادة تلك المعلومات ، وأيقن أن تجربة ابن ربن الطبرى فى كتابه فردوس الحكمة من التجارب ذات المعنى العميق ، فهى تحض الدارس على عدم التفريط فى المعلومات ، لأنه سيحتاج إليها فى يوم من الأيام.

* * *

صدر للمؤلف

دواوين شعرية :

١- أغنية لسيناء (مشترك) -الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥
٢- الترحال فى زمن الغربة - المجلس الأعلى للثقافة ١٩٨٤
٣- من سمفونية العشق - المركز القومى للفنون والآداب ١٩٨٥
٤- فصل فى الجحيم - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥
٥- ولهية إلى الإسكندرية - مديرية الثقافة بالإسكندرية ١٩٨٨
٦- النيل يعبر المواسم - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩١
٧- قطران من شلال النار - الهيئة العامة لقصور الثقافة ١٩٩٣
٨- مسافات السفر -المجلس الأعلى للثقافة ١٩٩٦

دراسات :

١- إطلالة على الشعر السعودى -نادى جازان الأدبى -السعودية ١٩٩٨٥
٢- أحمد بن ماجد أسد البحار - دار المعارف ١٩٩٥
٣- زرياب عبقرى النغم -مكتبة ومطبعة الغد ١٩٩٧
٤- مبادئ العروض - مطبوعات أصوات معاصرة ١٩٩٧

قصص للأطفال :

١- عمر المختار (طبعة أولى) دار الشرق -دولة قطر ١٩٨٩
(طبعة ثانية) المكتب العربى للمعارف -القاهرة ١٩٩٧

٢- عبد الرحمن الداخل صقر قريش -دار الشرق - دولة قطر ١٩٨٩
٣- الصوت الغريب -دار المعارف ١٩٩٤

الفهرس